

الثورة السورية والمرحلة القادمة

الكاتب : لبيب النحاس

التاريخ : 15 مارس 2019 م

المشاهدات : 5767



في مثل هذه الأيام المباركة من عام 2011 ولدنا جميعاً من جديد كأفراد وشعب، وكانت ولادة حلم عظيم عمل أعداؤنا وبعض أبناء جلدتنا على تحويله إلى كابوس، ولكن بعد 8 سنوات لا يزال الحلم حياً وما تزال الآمال معقودة، وما زلنا متمسكيين بثورتنا وحقوقنا كاملة.

مهما كتبت قرائح الأدباء والمؤرخين ونطقت شهادات المشاركيين في الثورة، فلن يتم إنصاف هذه الثورة العظيمة وإنصاف الشعب الجبار الذي قام بها، #الثورة_السورية هي بحق أعظم ثورة في التاريخ المعاصر، وهي شامة #الربيع_العربي وجواهرة تاجه، وهي بداية لمرحلة جديدة في تاريخ المنطقة والعالم.

#الثورة_السورية زلزال هز أركان المنظومة الدولية والإقليمية التي مكنت لأنظمة فاسدة وأقلوية حكمت شعوب المنطقة لعقود طويلة، وقد بلغت ترددات هذا الزلزال أطراف العالم الغربي نفسه، وصعود التيار اليميني المتطرف جزئياً كان ردة فعل على نتائج الثورة وآثارها.

#الربيع_العربي لم ينته، وما شهدناه حتى الآن هو الموجة الأولى، وطلاق الموجة الثانية بدأت تظهر بقوة، ومما يساعد على ذلك حمامة الأنظمة العربية وعجزها على التغيير وإدراك أن التحول الجذري في وجدان وعقل الشباب العربي غير قابل للرجعة.

#الثورة_السورية أحدثت تغيرات عميقة وجذرية في وجدان المجتمع السوري وثقافته وطريقه روبيته لنفسه ولمحيطه وعلاقته بالنظام لا سيما بين الشباب، وهذه التغيرات تجاوزت قنطرة العودة منذ وقت طويل، والعودة إلى سوريا ما قبل 2011 ما هو إلا سراب يحاول البعض إقناعنا به

معركتنا مع النظام البائد وحلفائه هي معركة أجيال، ولا يمكن الحكم على ما حققناه وما مهدنا لتحقيقه، إلا من منظور تاريخي وجيلي. تغيير مجرى التاريخ لا يحدث في 8 سنوات عظيمة وقاسية، ولا ينجزه جيل واحد، نحن بداية أمر سينهيه ويجيء كامل ثماره أجيالنا من بعدها.

واجبنا أمام الله وأمام من سبقونا ومن بقوا معنا ودفعوا أغلى الأثمان وأمام الأجيال التي تلينا هو الاستمرار، مهما كلف الثمن وبأي وسيلة ممكنة. لا نملك ترف اليأس ولا حق التوقف، حققنا الكثير وأنجزنا المستحيل وإن بأبهظ التكاليف، ولكن ما زالت الأمانة في أعناقنا.

يحلو للكثيرين التركيز على الجوانب السلبية التي ظهرت في سلوك وثقافة المنسوبين إلى الثورة (زوراً أو حقيقة)؛ لا تسمحوا لمثل هذا الخطاب بالتفشي، ولا تتوقعوا أن تخفي أمراض المجتمع وثقافة البعث في سنوات قليلة، كنا وما زلنا نقول إن أخطر عدو للثورة هي الثقافة البعثية.

وما يخفى على هؤلاء أو يتجاهلونه هي النماذج الإنسانية والبطولات الفريدة والخارقة التي قدمها وما زال يقدمها الشعب السوري في كفاحه لنيل حرية وكرامته، وأن صعوبة مراس هذا الشعب التي دفعنا ثمنها كثوار هي - أيضاً - جزء من عقيريته وشخصيته التي مكنته من الاستمرار.

ثار الشعب السوري هزموا نظام الأسد، وكسرروا شوكة حزب إيران ومرغوا أنف إيران، وتطلب إيقافهم تدخل قوى "عظمي" عسكرياً بشكل مباشر وارتكاب جرائم حرب شبه يومية على مدى عامين، وسط دعم شحيح وتنكر القريب وتجهم الغريب. لم نُهزم ولكن تأخر وصولنا لمرادانا الغائي.

نظام الأسد انتهى عسكرياً، وتصدع أمنياً، ويعيش حالة غليان شعبي في المناطق التي يسيطر عليها جزئياً حتى بين أنصاره، وسط فشل اقتصادي وخديع عارم، وفساد وصل لدرجات غير مسبوقة. كل هذا ينذر بانفجار قريب للوضع واستمرار تحول النظام إلى دولة فاشلة، وهذا ما تخشاه روسيا.

حرب سرية تدور رحاها بين بعض أجهزة استخبارات النظام وإيران للسيطرة على دمشق، وتضارب رؤى ومصالح مباشر بين روسيا وإيران، وانقسامات داخل منظومة الأسد نفسها، وتقاسم نفوذ بين إيران وروسيا وميليشيات النظام في المناطق التي تُحسب زوراً على أنها مناطق النظام. هذا هو "انتصار" النظام.

للأسف، المعارضة السورية تفتقر للقوة والشرعية والشخصية لتخرج بخطاب سياسي قوي وواقعي يعكس حقيقة وضع النظام، ويرفض خطاب الانهزام تحت مسمى "الواقعية السياسية"، ويدافع عن أهداف الثورة، ويمسك بزمام الملفات الكثيرة التي تملكها الثورة لتحصيل مكاسب حقيقة للشعب.

للأسف، النظام: سواء عندما كان في القعر أو عندما أسعفته روسيا (بعد أن فشلت جهود الحزب وإيران) حافظ على نفس الخطاب الصلب المتماسك، في حين اختلط على بعض واجهات المعارضة دورهم: فلم يميزوا بين القيادة والتحليل السياسي وبين الجلوس أمام وسائل الإعلام أو طبيب نفسي.

أمام مؤسسات الثورة الرسمية -لا سيما واجهاتها- فرصةأخيرة لارتفاع بأدائها بعيداً عن الخطابات الجوفاء والمزاودات البعثية والتدايس المرضي والاستخفاف بعقول الناس، لا يوجد مستقبل فردي لأي معارض دون نجاح نسبي للثورة ككل، إما أن تصلك السفينـة أو نغرق جميعـا.

ولكن ليس على الشعب التأثر أن ينتظر المعارضة السياسية؛ هناك حوالي 13 مليون سوري خارج مناطق سيطرة النظام، نظموا أنفسـكم، أبنوا أدوات التأثير، أسسوا منصـات سياسـية وحقـوقـية واجـتمـاعـية تحـمـل صـوتـكم إلى صـنـاعـ السـيـاسـاتـ والـقـرـارـ، ولـتـكـنـ الـبـوـصـلـةـ هيـ هـيـ نـفـسـهـاـ، وـرـؤـيـةـ ذاتـهاـ، وـالأـهـادـفـ مـوـحـدةـ.

تملك أوراق قوة كثيرة، سياسـيةـ، حقوقـيةـ، إنسـانيةـ وـحتـىـ عـسـكـرـيةـ وأـمـنـيةـ (درعاً مـثـلاـ)، إلا أن ثورـتناـ تحتاجـ منـ يـجـيدـ استـعمالـهاـ وـيـدـفعـ تـكـلـفـتهاـ. لـسـناـ مـضـطـرـينـ أـنـ نـعـطـيـ شـرـعـيـةـ لأـيـ حلـ لـاـ يـحـقـقـ لـنـاـ الـحدـ الأـدـنـىـ مـنـ مـطـالـبـنـاـ. إـنـ كـنـاـ سـنـمـوـتـ، فـلنـمـتـ قـتـلـاـ. وـلـاـ نـشـرـبـ السـمـ طـوـعاـ.

دورـناـ وـمـسـؤـوليـتـناـ كـشـعـبـ وـكـثـوارـ يـبـدـأـ الآـنـ، قـبـلـ الـحلـ السـيـاسـيـ، وـأـنـتـءـ الـتـفاـوضـ عـلـىـ الـحلـ، وـبـعـدـ الـحلـ. نـحنـ مـنـ يـعـطـيـ الشـرـعـيـةـ لـمـنـ يـدـعـيـ تمـثـيلـنـاـ وـلـلـحلـ الـذـيـ سـيـحـاـوـلـ الـبعـضـ فـرـضـهـ عـلـيـنـاـ. لـذـكـ يـجـبـ أـنـ نـبـدـأـ بـتـنـسـيقـ أـنـفـسـنـاـ وـبـنـاءـ الـأـدـوـاتـ وـالـوـسـائـلـ الـتـيـ تـمـكـنـنـاـ مـنـ التـأـثـيرـ فـيـ مـسـتـقـلـنـاـ.

الـحلـ السـيـاسـيـ الـمـزـعـومـ لـيـسـ عـصـاـ سـحـرـيـةـ تـحـولـ بـعـدـهـ سـوـرـيـاـ إـلـىـ دـوـلـةـ "الـقـانـونـ" وـ "الـصـنـادـيقـ الشـفـافـةـ" وـ "الـحـرـبةـ" وـ "الـعـدـالـةـ"؛ صـرـاعـنـاـ مـعـ النـظـامـ وـمـخـلـفـاتـهـ وـرـوـاسـبـهـ وـحـلـفـائـهـ طـوـيلـ الـأـمـدـ وـيـجـبـ أـنـ نـجـهزـ أـنـفـسـنـاـ لـهـ مـنـذـ الآـنـ، وـلـنـاـ فـيـ دـوـلـ أـخـرىـ عـبـرـةـ حـيـنـ سـلـمـوـاـ مـسـتـقـبـلـهـمـ لـلـسـيـاسـيـنـ فـقـطـ.

عـملـ جـاهـداـ بـعـضـ "سـيـاسـيـ"ـ المـعـارـضـةـ عـلـىـ نـشـرـ مـقـوـلـةـ "أـنـتـهـىـ الـعـمـلـ عـسـكـرـيـ"ـ وـمـعـرـكـتـنـاـ سـيـاسـيـةـ فـقـطـ"ـ أـمـلـاـ مـنـهـمـ فـيـ نـقـلـ الـمـعـرـكـةـ إـلـىـ مـاـ يـعـقـدـونـ وـاـهـمـيـنـ أـنـهـاـ سـاحـتـهـمـ، وـلـكـنـ #درـعاـ مـهـدـ #الـثـورـةـ_الـسـوـرـيـةـ أـضـاءـتـ الـطـرـيـقـ لـلـسـوـرـيـيـنـ لـبـدـ مـرـحـلـةـ جـديـدةـ وـنـمـطـ مـخـلـفـ مـعـ خـيـرـهـ. سـلاحـ الثـورـةـ خـطـ أحـمـرـ.

ولمن دخله اليأس والإحباط، أماك خيارات: إما أن تشارك في صنع تاريخك بيده وتأثر لنفسك وأهلك، أو تقرأه يوماً متحسراً على عظيم ما فاتك. هذه ليست النهاية، وليس بدأها النهاية؛ إنها فقط نهاية البداية بإذن الله". وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون".

المصادر:

حساب الكاتب على تويتر